



نعزّي سيد الكائنات وخاتم الأنبياء والمرسلين محمد المصطفى، وأهل بيته الأطهار، عليهم أفضل الصلاة والسلام، وجميع المسلمين بذكرى وفاة الصديقة الكبرى سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام.

وبهذه المناسبة الأليمة نقدم لكم المقالة التالية من محاضرات سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي حفظه الله، راجين الاستفادة منها وإرسالها إلى سائر المؤمنين والمؤمنات لتعميم الفائدة، وفقكم الله لمرضيه.

مكتب المرجع الديني آية الله العظمى المدرسي دام ظله

الزهراء عليها السلام تجسيد الرسالة الإلهية

لا بد للمبادئ من أن تتجلى في واقع حي، وعندما هبطت الرسالة الخاتمة على قلب نبينا الأعظم، إمام الهدى، وقدوة الصديقين محمد صلى الله عليه وآله، تجلت هذه الرسالة بعد هذا النبي العظيم في شخصية عدد من الرجال، وأخرى من النساء؛ فتجلت في علي ابن أبي طالب عليه السلام الذي كان المثل الأعلى للقرآن، وتجسدت كذلك في فاطمة الزهراء عليها السلام.

أن تجلي الرسالة في شخصية الرجل هي عملية يمكن فهمها واستيعابها، لأن الرجل يمتلك بحد ذاته قوة الكمال والاستعداد. ولكن عندما تصوغ رسالات الله عز وجل امرأة لتضعها في الذرى العالية، والقمم السامقة، فإن هذا لمعجزة دونها كل معجزة.

وهكذا فإذا كان علي بن أبي طالب عليه السلام معجزة رسول الله صلى الله عليه وآله، والدليل إلى الإسلام، والهادي إلى حقائق القرآن وعلومه.. فإن فاطمة الزهراء عليها السلام ستكون الشاهدة الكبرى، والدليل الأعظم.

إن امرأة - رغم ما جعل الله في طبيعتها من عوامل الضعف البشري - تتحدى كل هذه العوامل، وتقطع كل صلة لها بالتراب، وتقف من أول الليل وحتى الفجر لتدعو، ولكن ليس لنفسها وإنما للآخرين، وتقول لابنها الحسن المجتبي عليه السلام توصيه بالإحسان إلى الجيران: "يا بني الجار ثم الدار". هذه المرأة قد وصلت إلى مرحلة من السمو والكمال، بحيث إن الله تعالى باهى بها ملائكته، وأولياءه، وحملة العرش.

إن فاطمة عليها السلام هي مجد الرسالة الإلهية، وتجسيد لكل ما في القرآن الكريم من لطائف العبر، ودقائق الفكر، وعظمة الحق.. فلا بد لكل رسالة من أن تقدم نموذجاً، ورسالة الإسلام هي أعظم رسالة، فلا بد أن يكون النموذج الذي تقدمه هذه الرسالة هو النموذج الأعظم، فكانت فاطمة الزهراء عليها السلام التي هي قدوة لكل إنسان؛ ذكراً كان أم أنثى.

وهكذا تسامت هذه المرأة العظيمة نحو معالي القيم والأخلاق، وذابت في الرسالة، وتحولت من مجرد شخص إلى نموذج رسالي.

إن رسول الله صلى الله عليه وآله الذي جاء سراجاً منيراً، وبشيراً هادياً، ورحمة للعالمين.. كان يركز كل تعاليمه، وبرامجه التربوية في ابنته فاطمة عليها السلام، وعلي بن أبي طالب الذي رباه على يديه الكريمتين، وإلا فكيف يمكن أن لا ينجح صلى الله عليه وآله في تربية فاطمة عليها السلام وهو الذي أثر في التاريخ، وصنع أجيالاً من المؤمنين الرساليين يعجز اللسان عن وصف سموهم وطهارتهم ونقاؤهم. ولذلك فقد كانت الزهراء عليها السلام مقياساً وميزاناً للعفاف، ومثالاً لتجلي الأخلاق الحسنة، لأنها خلاصة التربية القرآنية، وعصارة شخصية تمثل القرآن الكريم.

والقرآن الكريم ينقل لنا جانباً من حياة فاطمة وسلوكياتها في سورة كاملة، هي سورة "الإنسان"، حيث تثني على فاطمة الزهراء لأنها - وهي ربة العائلة وسيدة البيت - هي التي حملت رغيفها في البدء، ثم جمعت أرغفة أطفالها الصغار وهم صائمون لتعطيها خلال ثلاثة أيام متتالية إلى المسكين واليتيم والأسير، متجاوزة بذلك - في سبيل العقيدة - عواطفها وطبيعتها كأم تفضل أطفالها على غيرهم، وضاربة بذلك أروع الأمثلة في الذوبان في الرسالة الإلهية، والاندماج فيها، وتفضيلها على كل العلائق الدنيوية، ولكي تقول للمرأة المسلمة، إن المرأة بإمكانها إذا ما تربت في أحضان الرسالة، وعاشت في أجواء القرآن والوحي أن تتحول إلى أنموذج في التسامي والتكامل وتحدي غرائز وعوامل الضعف في النفس البشرية.

بمثل هذه المواقف الرائعة جسدت فاطمة الزهراء قيم الرسالة ومبادئ الدين، وبذلك أصبحت حجة بالغة على البشرية جمعاء.